

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(284) إمعان النظر في الدراية التي كان النبي فاقداً لها قبل الوحي وصار واجداً لها بعده، فما تلك الدراية وذاك العلم؟ فهل المراد هو العلم بنزول الكتاب إليه إجمالاً، والإيمان بوجوده وتوحيده سبحانه؟ أو المراد العلم بتفاصيل ما في الكتاب والإدعان بها كذلك؟ لا سبيل إلى إلاّ وللّ، لأنّ علمه إجمالاً بأنّه ينزل إليه الكتاب، أو إيمانه بوجوده سبحانه كانا حاصلين قبل نزول الوحي إليه، ولم يكن العلم بهما مما يتوقف على الوحي، فإنّ الأحبار والرهبان كانوا واقفين على نبوته ورسالته ونزول الكتاب إليه في المستقبل إجمالاً، وقد سمع منهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في فترات مختلفة - أنّ النبي الموعود في الكتب السماوية، وأنّه خاتم الرسالات والشرائع، فهل يصح أن يقال: إنّ علمه (صلى الله عليه وآله وسلم) بنزول كتاب عليه إجمالاً كان بعد بعثته وبعد نزول الوحي؟ أو أنّه كان متقدماً عليه وعلى بعثته؟ ومثله الإيمان بالله سبحانه وتوحيده إذ لم يكن الإيمان بالله أمراً مشكلاً متوقفاً على الوحي، وقد كان الأحناف في الجزيرة العربية ومن جملتهم رجال البيت الهاشمي، موحدون مومنين مع عدم نزول الوحي إليهم. وبالجملّة: العلم الإجمالي بنزول كتاب إليه والإيمان بوجوده وتوحيده، لم يكن أمراً متوقفاً على نزول الوحي حتى يحمل عليه قوله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان). وعندئذ يتعين الاحتمال الثاني، وهو أنّ العلم التفصيلي بمضامين الكتاب وما فيه من الأصول والتعاليم والقصص - ثم الإيمان والإدعان بتلك التفاصيل - كانا متوقفين على نزول الوحي، ولولاه لما كان هناك علم بها ولا إيمان. وإن شئت قلت: العلم والإيمان بالإيمان بالأشياء السمعية التي لا سبيل للعقل عليها - كالمعارف والأحكام والقصص ومحاكاة الأنبياء مع المشركين والكفار وما